الكنوز النفيسة

في القمامات الخسيسة

كثيراً ما تكون المصادفات وحدها سبباً لتكشف كنز ثمين أو إظهار شيء دفين . وقد جاءت الأنباء حديثاً بأن المنقبين في مدينة رومية قد عثروا على تماثيل رومانيين أثريين في حالة جيدة ، وذلك حينما كانوا يحفرون نفقاً تحت أرضها .

ومما يجدر ذكره في هذا الشأن أنه في سنة ١٩٤٠ اكتشفت في أراضي ليبيا خرائب معبد ، زعم علماء الآثار التاريخية أنه هيكل كليوباترة . وهو معبد قائم في حفرة عميقة أحدثتها قنابل الطائرات القاذفة لقنابل عند ما كانت تنهال على ذلك الميدان .

وبعد ذلك بعامين كان الجنود الأميركيون يحفرون الأرض في ضاحية مدينة بايستم Paestum بإيطالية ، وذلك لاستخراج الحصى منها لحصب الطرق ، فعثروا على ضريح من العصر الحجري ، فاض بآثار من ذلك العهد ، ورجح العلماء أنها أقدم التحف التي كشفت من نوعها حتى الآن .

وفي شتاء سنة ١٨٩٩ كان الدكتور جورج ريزنر العالم الأثري المشهور ، يدير مجموعة من أعمال التنقيب عن الآثار التاريخية في بلدة تيتونس (تعلون) Tebtunis بمصر ، وكانت أعماله تسير سيراً وئيداً . وكانت تسود خيامه التي ضربت في الصحراء مظاهر اليأس ؛ حيث كان عمال التنقيب ، كلما توغلوا في الحفر ، نبشوا تماسيح محنطة لا غير . وكان قليل منها لا أهمية له ، وسائرها لا نفع منه يرتجى . وكانت الشروط المعقودة بين الدكتور ريزنر وعماله العرب ، تقضي بأن لا يدفع لهم أجراً إلا عن الشيء الثمين الذي يستخرجونه من جوف الأرض . ولذلك صدف أخيراً عن مكافأتهم على هاتيك التماسيح العقيمة الملفوفة بلفائف التحنيط . ومن حسن حظ أحد الأعراب أنه كان ذات يوم يحفر حفرة أثرية وهو مختدم غيظاً فأخرج لفيته وحطمها على سطح الأرض ، فتناثرت أعضاؤها هذر مذر ، كما كان العامل يتوقع . ولكنه لم يلبث أن انقلب ممتعضاً ، ابتهاجاً إذ تبين أن الدنانير التي تطايرت من جوف التمساح ، كانت أورلتاً بردية تدية مصورة صوراً رائعة ، هي التي كان ينشدها

مخدومه، على أن يكافىء نابشها أسمى مكافأة. وعند ذلك شرع الدكتور ريزنر في تحطيم جميع هاتيك التماسيح المحتقرة التي كان قد أمر بتبديدها قصيًّا، تحطيمًا تامًّا، إذ تذكر من فوره أن ورق البردي الذي كان القدماء يلفونه في زوايا الفسيان كانوا يستعملونه لف الأشياء والطبقات الداخلية لتلك الحيوانات المحنطة جميعها، فصارت المستندات التي أتيح استردادها بتلك الوسيلة، ضمن المجموعة النفيسة التي تحتفظ بها حاليًا جامعة كاليفورنيا

ثم إن أغلب نماذج الأواني الزنكية الأولية البريطانية الموجودة الآن في المجموعة الأثرية المشهورة عثر عليها مكتشفوها إما في الآبار، وإما في مجاري القاذورات، وإما في الخزائن القديمة المغلقة وإما في وسط طبقات المساكن العتيقة. وبيان ذلك أن الشركة القديمة لصناع الزنك كانت حظرت على أعضائها ترميم أي وعاء مكسور من هاتيك الأوعية الزنكية. وكان يحدوها على ذلك مراعاة مصلحتها، إذ رأت أنه خير لصناعتهم إنتاج الأواني الجديدة وبيعها، من ترميم السابق استعمالها، فعجز أرباب الصحون والسكيزان والشمعدانات الزنكية عن إيجاد الصناع الماهرين الذين يستطيعون إصلاحها، فألقوها في أماكن خفية وزوايا مهجورة، وهي تلك المواضع والزوايا التي ما فتئت تستخرج منها بين حين وآخر. وكثيرًا ما تكون العوامل الباعثة على فقد الكنز أو اخفائه، خطيرة الشأن، مثل الظروف التي تلازم الكشف عنه.

وقد تحتفي مأساة قديمة من المآسي التي كاد الناس ينسون تاريخها. وذلك مثل مجموعة أورفيتو الخاصة بالأواني الصينية الجميلة التي ألقيت في بئر بناءً على أمر قيصر محلي أراد بذلك تطبيق القواعد الصحية، قصد منع انتشار وباء الطاعون، وذلك بارغام الجمهور على نبذ أطباقهم الجميلة. فحدث بعد انقضاء قرون من الزمان، أن حلّ ساكن جديد في ذلك البلد الواقع على التلّ الايطالي القديم، فأخذ ينظف بئر الدار السابقة الذكر، فعثر على حطام الأواني الصينية البديعة المشار اليها، فبذل قصارى جهده في اعادة تركيبها وترميمها حتى عادت كأصلها، ولما نجح في عمله، جعلت عائلته تقلد صناعتها فراجت بضاعتها رواجًا عظيمًا، إذ هي تحمل طابعًا غريبًا هو رسوم العصور الوسطى التي تؤلف من أرضية بيضاء يغشاها لون أخضر زمردي أو أصفر برتقالي. وفي إليوبيا كانت مجموعة كتب قبطية خطية

كاملة في دير من ديورتها ملقاة في جب وقاية للكتب من نهب الأعراب إياها عندما غزوا بلاد الحبشة. ثم تمكن أحد الشيوخ فيما بعد، من استعادتها فابتاعها منه المستر ج. ب. مورجن[1] وذلك بمبلغ ٤٠٠٠٠٠ دولار. وفي أواخر القرن التاسع عشر دمرت النيران قصر تلينجين القديم في هولندة ثم بيع ما بقي من أثاثه الذي نجى انقاذه من الحريق، بالمزاد العلني. فتقدم اشرائه خمسة عشر تاجراً تواطأوا بعضهم مع بعض على ابتياع تلك التحف بأبخس الأثمان ثم بيعها فيما بعد بأبهظ الأسعار ليقتسموا الربح فيما بينهم. وحدث في أثناء انهماكهم في التصرف في هذه الغنيمة أن جاء صبي من أبناء أحدهم، وجعل يعبث بعلبة رثة من علب الجواهر والحلي، كانت مطروحة على الأرض نسياً منسيًا فدس بقبضة يده (زبركاً) خفيًا كان منبثاً فيها. فسمع حينئذ طقطقة أعقبها بروز درج خفي فدس الغلام يده في محتوياته الوضاءة الألوان وأخذ يلعب بالمشورة اللامعة التي تكشفت له، غير انه لم يلبث أن اتجهت اليه أنظار أصحاب الشأن وذلك حينما ثار وأفشى سر ذلك الكنز. فأخذ يبادلهم التهاني، فأقصوه توًا عن موقفه حيث وجدوا في ذلك الدرج مجموعة من الماس والياقوت، وكانت جميعها من الأحجار الكريمة المشهورة والحلى الثمينة التي كانت مفقودة منذ عهد طويل في قصر تلينجين الذي كانت جاكلين أف باتافيا كونتيسة هولندا وزيلند، معينة فيه، حتى توفيت سنة ١٤٣٧ وكانت قد نجحت في اخفاء جواهرها تلك عن أبصار ظالميها منذ زمن طويل. ونجم عن تلك اللقية ثراء أولئك التجار وبلوغهم منزلة مالية لم تعلن للملأ قط، فقيل إنها أربت على نصف مليون من الدولارات. وكان رجل من المكسيك الجديدة يثبت[2] بئراً فعثر على دلو ملأى بالنقد والحلى الاسبانية القديمة بلغت قيمتها وزناً تسعة آلاف دولار، فقيل إنها من المجموعة الثمينة المشهورة التي جمعها ج. س. كاندلاريو التاجر الهندي الذي كان مستوطناً ذلك المكان. ولكنهم لم يكتشفوا سبب اخفائها في تلك البئر. وكذلك عثر بعض فعلة باريس على كنز من عهد لويس الخامس عشر في غضون هدم مبنى قديم في شارع موفيتار.

عوض مبشري

(١) هو جون بيربونت مورجن ولد سنة ١٨٣٧ وتوفي سنة ١٩١٣ مالي أميركي مشهور وجامع التحف المعروف (٢) ثبت البئر — نبتها وأخرج ترابها